خصائص عقيدة التوحيد

Features of Monotheism

تأليف
أ. د. سعد بن علي الشهراني
الأستاذ بقسم العقيدة - جامعة أم القرى -
By: Prof. Saad Bin Ali Al-Shihrani (PhD)

١٤٤٣هـ ٢٠٢١م

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي تفرد بأن يعبد ويحمد، وأشهد أن الله تعالى هو الإله المتوحد، شهادة عبده وابن عبده وابن أمَتِه، ومن لا غنى به طرفة عين عن رحمته، وأن من ألَّه سواه فقد أشرك وندد، وأن محمداً عبده ورسوله الذي نهى عن الشرك والتنديد وشدد، فشرح الله به الصدور، وأنار به العقول، وفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صمّاً، وقلوباً غُلْفاً، فصلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ومن تعبد ووحد.

أما بعد؛ فإن التوحيد أصل الأصول الذي هو حق الله جل وعلا على العبيد، والله جل جلاله إنما عَمَر السموات وخلقها، وعَمَر الأرض وخلقها، ليوحّد سبحانه، خلق السموات وجعل لها عُمّارا، وخلق الأرض وجعل فيها الجن والإنس مكلَّفين، وذلك كله لتوحيده سبحانه وتعالى، قال جل وعلا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذَّارِيَات من الآية ٥٦ الى الآية ٥٨] .

كما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب لأجل توحيده جل وعلا والقرآن كله توحيد، قال ابن القيم: «بل نقول قولاً كلياً: إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه، فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم»[1] .

إن التوحيد هو القاعدة والأساس لقيام ونهضة هذه الأمة أفراداً ومجتمعات لأنه الصلة الحقيقية بين الإنسان وهذا الوجود، والرابطة التي تشد الوجود بما فيه ومن فيه إلى خالقه الواحد، ولا بد من القاعدة ليقوم البناء . والعمل الصالح هو هذا البناء، فهو منهار من أساسه ما لم يقم على قاعدته .

إن الفرد بلا توحيد ريشة في مهَبِّ الريح، لا تستقر على حال، ولا تسكن إلى قرار، أينما الريح تميلها تمل، الفرد بلا توحيد إنسان لا قيمة له ولا جذور، إنسان قلق، متبرِّم، حائر، لا يعرف حقيقة نفسه ولا سر وجوده، لا

(١) مدارج السالكين ٤٦٨/٣ - ٤٦٩ .

يدري من ألبسه ثوب الحياة؟ ولماذا ألبسه إياه؟ ولماذا ينزعه عنه بعد حين؟

الفرد -باختصار- بلا توحيد: حيوان شَرِه، وسبع فاتك مفترس، بقلب لا يفقه، بأذن لا تسمع، بعين لا تبصر، بهيمة ؛ بل أضل .

والمجتمع كذلك، المجتمع بلا توحيد مجتمع غابة وإن لمعت فيه بوارق الحضارة ؛ لأن الحياة فيه للأقوى لا للأفضل والأفقه .

ولاشك أن هناك علاقة طردية بين قوة المسلمين ونهضتهم وإتقانهم لأعمالهم وبين قوة توحيدهم ومن تتبع تاريخ الأمة الإسلامية عبر القرون رأى ذلك جلياً واضحاً، وتاريخ الدول الإسلامية خير شاهد على ذلك، فحين تكون الدولة الإسلامية موحدة لربها قوية في توحيدها بعيدة عن الشرك والخرافة تكون في أوج قوتها وعزتها، وحين ينخر فيها سوس الشرك تتهاوى وتسقط وتصبح مستعبدة ذليلة ؛ لأنها ابتعدت عن عقيدة التوحيد الخالص

ولقد تميزت عقيدة التوحيد بخصائص جليلة ميزتها عن سائر عقائد الملل والنحل، ولا توجد هذه الخصائص في غير عقيدة التوحيد، ومن أهم هذه الخصائص وأبرزها: الربانية، الفطرية، الغيبية، الشمولية، الوسطية، العملية، العقلانية، السماحة والوضوح، وفيما يأتي تبيين لهذه الخصائص ومنها تتكون مباحث هذا الجهد على ما يأتي.

المبحث الأول: الربانية (التوقيفية) .

المبحث الثاني: الفطرية .

المبحث الثالث: الغيبية .

المبحث الرابع: الشمولية .

المبحث الخامس: الوسطية .

المبحث السادس: العملية .

المبحث السابع: العقلانية .

المبحث الثامن: السماحة والوضوح .

المبحث الأول

الربانية (التوقيفية)

والربانية نسبة إلى الرب، وزيادة الألف والنون للمبالغة[١]، وتعني: أن أهل السنة لا يقتبسون عقيدتهم إلا من مشكاة الوحي، قرآناً وسُنّة، لا عقل، ولا ذوق ولا كشف، ولا يجعلون شيئاً من ذلك معارضاً للوحي، بل هذه إن صحت كانت معضدة لحجة السمع، فالوحي هو الأصل المعتمد في تقرير مسائل الاعتقاد .

فهي عقيدة يوقف بها عند الحدود التي حدَّدها وبيَّنها الله ﷻ، وبلّغها النبي ﷺ، فلا مجال فيها لزيادة أو نقصان أو تعديل أو تبديل ؛ فهي عقيدة ربّانية المصدر، توقيفية التلقّي، موحىً بها من عند الله تعالى، فلا تستمد أصولها من غير الوحي (الكتاب والسنة)، قال تعالى: ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ١٣٨﴾ [البَقَرَة الآية ١٣٨]، مصدرها الله تعالى، وقد هدانا إلى الإيمان بها عن طريق ما أنزله الله على رسوله ﷺ من الوحي، وقال تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤﴾ [النَّجم من الآية ١ الى الآية ٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥﴾ [يُونُس الآية ١٥] .

قال قوام السُّنّة الأصبهاني: «وأما أهل الحق فجعلوا الكتاب والسنة إمامهم، وطلبوا الدين من قبلهما، وما وقع لهم من معقولهم وخواطرهم عرضوه على الكتاب والسنة، فإن وجدوه موافقاً لهما قبلوه، وشكروا الله حيث أراهم ذلك ووفقهم إليه، وإن وجدوه مخالفاً لهما تركوا ما وقع لهم، وأقبلوا على الكتاب والسنة، ورجعوا بالتهمة على أنفسهم، فإن الكتاب والسنة لا يهديان إلا إلى الحق، ورأي الإنسان قد يرى الحق، وقد يرى الباطل، وهذا معنى قول أبي سليمان الداراني -وهو واحد زمانه في المعرفة-: ما حدثتني نفسي بشيء إلا طلبت منها شاهدين من الكتاب والسنة، فإن أتت بهما، وإلا رددته في نحرها . أو كلام هذا معناه»[٢] .

ولهذه الخاصية أسباب ودواعي حملت أهل السنة على الاقتصار على الوحي والاقتصاد عليه ولزومه وعدم الحيدة عما جاء في الكتاب والسنة، ومن هذه الأسباب:

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (١٨١/٢) .

(٢) الحجة في بيان المحجة ، للأصبهاني ٢٣٨/٢ .

١ - تواتر النصوص الآمرة باتباع الكتاب والسنة ولزومهما .

٢ - توعد من خالفهما بالفتنة والعذاب الأليم .

٣ - حرمة القول على الله بغير علم .

٤ - ثبوت كمال الدين وتمام تبليغ الرسالة

• **مظاهر التوقيفية[١]:**

والتوقف عند النصوص ودلالاتها كانت له آثار ومظاهر في منهج أهل السنة والجماعة في تقرير مسائل الاعتقاد، وقطع النزاع حولها، فمن ذلك:

١- الرد إلى الوحي عند النزاع، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النِّسَاء الآية ٥٩]، قال مجاهد: «كتاب الله وسنة نبيه، ولا تردوا إلى أولي الأمر شيئاً»[٢] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «ما تنازع فيه الناس من مسائل الصفات، والقدر، والوعيد، والأسماء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك يردونه إلى الله ورسوله، ويفسرون الألفاظ المجملة التي تنازع فيها أهل التفرق والاختلاف، فما كان من معانيها موافقاً للكتاب والسنة أثبتوه، وما كان منها مخالفاً للكتاب والسنة أبطلوه، ولا يتبعون الظن وما تهوى الأنفس، فإن اتباع الظن جهل، واتباع هوى النفس بغير هدى من الله ظلم»[٣] .

٢- حبس اللسان عن الكلام في العقيدة إلا بدليل هادٍ من الكتاب والسنة، واعتماد ألفاظ ومصطلحات الكتاب والسنة عند تقرير مسائل الاعتقاد وأصول الدين، والتعبير بها عن المعاني الشرعية، وفق لغة القرآن، وبيان الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١﴾ [الحُجُرَات الآية ١]، قال ابن عباس: «أي: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة»[٤]، وقال مجاهد: «لا تفتئتوا على رسول الله ﷺ حتى يقضيه الله على لسانه»[٥] .

٣- التسليم لله تعالى وللرسول ﷺ، ومن غير تعرض لنصوص الوحيين بتحريف أو تأويل أو تعطيل أو تكييف أو تمثيل، وترك نَصْب شَرَك التعارض بين صحيح النقل وصريح العقل، ومجانبة الجدال والمراء في نصوص العقيدة ومعاقدها الكلية، فإن بدا ما ظاهره التعارض بين العقل والنقل فمردّه إلى الوهم في قطعية

(١) ينظر: علم العقيدة عند أهل السنة والجماعة ص٢٤٦-٢٥٣ .

(٢) ينظر: شرح أصول أهل السنة والجماعة ، للالكائي ٧٣/١ ، تفسير الطبري ١٤٧/٥ .

(٣) مجموع الفتاوى ٣٤٨/٣ .

(٤) ينظر: روح المعاني ، للآلوسي ١٣٢/٢٦ ، وتفسير ابن كثير ٢٠٦/٤ .

(٥) ينظر: تفسير البغوي ٢٠٩/٤ .

أحدهما ثبوتاً أو دلالة .

٤- سد باب الابتداع والإحداث في الدين، ورد جميع ما خالف سنة سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ، فمستند المشروعية أبداً هو موافقة الشريعة المطهرة .

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر»[١] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وما أحسن ما جاء عن عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة أنه قال: «عليك بلزوم السنة، فإنها لك بإذن الله عصمة، فإن السنة إنما جعلت ليستن بها، ويقتصر عليها، وإنما سنَّها من قد علم ما في خلافها من الزلل والخطأ والحمق والتعمق . فارْضَ لنفسك بما رضوا به لأنفسهم، فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، ولهم كانوا على كشفها أقوى، وبتفصيلها لو كان فيها أحرى، وإنهم لهم السابقون، وقد بلغهم عن نبيهم ما يجري من الاختلاف بعد القرون الثلاثة، فلئن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه، ولئن قلتم حدثٌ حدثَ بعدهم فما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم، ورغب بنفسه عنهم، واختار ما نحته فكره على ما تلقوه عن نبيهم، وتلقاه عنهم من تبعهم بإحسان»[٢] .

٥- وهذه التوقيفية والربانية لها أثرها العظيم في عصمة أهل السنة وعلومهم من الخطأ والزلل والانحراف والاضطراب في فهم العقيدة، وترك التخليط في مصادر التلقي والمرجعية، وتصفيتها من كل نفس كلامي مردود، أو شوب فلسفي مذموم، أو دَخَل مسلكي مبتدع، فالعقيدة ترجع إلى مصدر موثوق، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو الوحي الذي تكفل الله تعالى بحفظه .

قال قوام السنة الأصبهاني: «غير أن الله أبى أن يكون الحق والعقيدة الصحيحة إلا مع أهل الحديث والآثار؛ لأنهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفاً عن سلف، وقرناً عن قرن، إلى أن انتهوا إلى التابعين، وأخذه التابعون من أصحاب رسول الله ﷺ، وأخذه أصحاب رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ، ولا طريق إلى معرفة ما دعا إليه رسول الله ﷺ الناس من الدين المستقيم، والصراط القويم، إلا هذا الطريق الذي سلكه أصحاب الحديث»[٣] .

كما أن من ثمرات التوقيفية أنها ضمانة لتوحيد كلمة الأمة على منهج واحد، عندما تلتقي على هذا الوحي الإلهي بما فيه من موازين لا تضطرب ولا تتأرجح ولا تتأثر بالهوى والدوافع الذاتية .

---

(١) مجموع الفتاوى ٤٣٢/٥ .

(٢) مجموع الفتاوى ٨/٤ .

(٣) الحجة في بيان المحجة ٢٣٧/٢-٢٣٨ .

قال قوام السنة الأصبهاني: «وكان السبب في اتفاق أهل الحديث أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة، وطريق النقل، فأورثهم الاتفاق والائتلاف»[١] .

وقال أيضاً ﷺ: «ومما يدل على أن أهل الحديث هم على الحق، أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطراً من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة، ونمط واحد يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافاً، ولا تفرقاً في شيء ما وإن قلَّ، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم، ونقلوه عن سلفهم، وجدته كأنه جاء من قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا؟»[٢] .

وقال أيضاً ﷺ: «وأما إذا نظرت إلى أهل الأهواء والبدع، رأيتهم متفرقين مختلفين أو شيعا وأحزابا، لا تكاد تجد اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد، يبدع بعضهم بعضا، بل يرتقون إلى التفكير، يكفر الابن أباه والرجل أخاه، والجار جاره، تراهم أبدا في تنازع وتباغض، واختلاف، تنقضي أعمارهم ولما تتفق كلماتهم ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الحشر الآية ١٤]»[٣] .

إن حقائق العقيدة الإنسانية ليست نظريات صاغها البشر، أو ظنوناً وضعت من تخيلاتهم، ولكنها من عند الله .

وإن ثبات العقيدة يظهر في كل ركن من أركانها، إلا أن هذا الثبات لا يعني تجميد النشاط الإنساني، وإنما يعني الالتزام بمقاييس ثابتة، يقاس نشاط البشر .

وفي حقائق الإسلام الثابتة يستطيع الإنسان أن يتحرك ويرتقي ويطور من وسائل معيشته، وهذا من فضل الله الذي وضع لعباده منهاجاً مرناً واسعاً، لجميع مظاهر النشاط الإنساني في كل زمان ومكان .

وما دامتْ ربانيةٌ من الله عز وجلَّ فإنها مبرأةٌ من النقصِ، سالمةٌ من العيب، بعيدةٌ عن الحيفِ والظلم، لأنَّ اللهَ له المثل الأعلى في السماوات والأرض:

وقال تعالى: ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النَّحل الآية ٩٠]، وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المَائِدَة الآية ٣]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾

(١) المرجع السابق ٢/٢٤١ .
(٢) المرجع السابق ٢/٢٣٩ .
(٣) المرجع السابق ٢/٢٣٩-٢٤٠ .

[النِّسَاء الآية ٨٢]، ومادامتْ ربانيةً فهي التي تشبعُ جَوعةَ الفطرةِ للعبادةِ لا يسدُّها إلا منهاجُ الله، ولا تملأُها النظمُ الفلسفيةُ، ولا السلطانُ السياسيُّ، ولا الثراءُ الماليُّ: قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الرُّوم الآية ٣٠].

هذا التوجيه لإقامة الوجه للدين القيم يجيء في موعده، وفي موضعه، بعد تلك الجولات في ضمير الكون ومشاهده، وفي أغوار النفس وفطرتها...يجيء في أوانه وقد تهيأت القلوب المستقيمة الفطرة لاستقباله، كما أن القلوب المنحرفة قد فقدت كل حجة لها وكل دليل، ووقفت مجردة من كل عدة لها وكل سلاح..وهذا هو السلطان القوي الذي يصدع به القرآن، السلطان الذي لا تقف له القلوب ولا تملك رده النفوس، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ﴾ [الرُّوم الآية ٣٠]، واتجه إليه مستقيما. فهذا الدين هو العاصم من الأهواء المتفرقة التي لا تستند على حق، ولا تستمد من علم، إنما تتبع الشهوات، والنزوات بغير ضابط ولا دليل...أقم وجهك للدين حنيفاً مائلاً عن كل ما عداه، مستقيما على نهيه دون سواه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الرُّوم الآية ٣٠]، وبهذا يربط بين فطرة النفس البشرية وطبيعة هذا الدين، وكلاهما من صنع الله وكلاهما موافق لناموس الوجود وكلاهما متناسق مع الآخر في طبيعته واتجاهه.

والله الذي خلق القلب البشري هو الذي أنزل إليه هذا الدين ليحكمه ويصرفه ويطب له من المرض ويقومه من الانحراف، وهو أعلم بمن خلق وهو اللطيف الخبير.

والفطرة ثابتة والدين ثابت: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الرُّوم الآية ٣٠]، فإذا انحرفت النفوس عن الفطرة لم يردها إليها إلا هذا الدين المتناسق مع الفطرة، فطرة البشر وفطرة الوجود. ومادامتْ ربانيةً فالناسُ أمامها سواءٌ، لا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ إلا بالتقوَى، فاللهُ خالقُ الناسِ أجمعينَ فكلُّهم عبيدُه، وهو لا يفضِّلُ لوناً على لونٍ، الأبيضَ على الأسود: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحُجُرَات الآية ١٣].

المبحث الثاني

الفطرية

تمتاز عقيدة التوحيد بموافقتها لفطرة الإنسان، فهي تلبي ذلك الإحساس الذي يدفع الإنسان إلى العبادة، والذي يكمن في أعماق نفسه، ويشكل جزءاً من ذاته، وهو ما يسمى بالفطرة الإنسانية، فإذا كان الإيمان بالله فطرة في النفس البشرية، فإن كل حقيقة من حقائق العقيدة الإسلامية تنسجم مع هذه الفطرة وتتقبلها ولا تتناقض معها، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [الرُّوم الآية ٣٠].

هذا التوجيه لإقامة الوجه للدين القيم يجيء في موعده، وفي موضعه، بعد تلك الجولات في ضمير الكون ومشاهده، وفي أغوار النفس وفطرتها..يجيء في أوانه وقد تهيأت القلوب المستقيمة الفطرة لاستقباله كما أن القلوب المنحرفة قد فقدت كل حجة لها وكل دليل، ووقفت مجردة من كل عدة لها وكل سلاح .

وهذا هو السلطان القوي الذي يصدع به القرآن . السلطان الذي لا تقف له القلوب ولا تملك رده النفوس .

والتوجيه بإقامة الوجه للدين القيم، ولو أنه موجه إلى الرسول ﷺ إلا أن المقصود به جميع المؤمنين ؛ لذلك يستمر التوجيه لهم مفصلا، ومعنى إقامة الوجه للدين: ﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الرُّوم من الآية ٣١ الى الآية ٣٢]، فهي الإنابة إلى الله والعودة في كل أمر إليه، وهي التقوى وحساسية الضمير ومراقبة الله في السر والعلانية والشعور به عند كل حركة وكل سكنة . وهي إقامة الصلاة للعبادة الخالصة لله.

«وهي التوحيد الخالص الذي يميز المؤمنين من المشركين، قال ابن كثير: «فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وانه لا إله غيره»[1] .

فالإسلام دين الفطرة، والفطرة كما قال ابن عطية هي: «الخلقة والهيئة التي في نفس الطفل التي هي معدودة مهيأة لأن يميز بها مصنوعات الله تعالى، ويستدل بها على ربه جل وعلا، ويعرف شرائعه ويؤمن به، وقيل: الفطرة الملة أو الدين»[2]، ومنه قوله ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كل مولود

(١) تفسير ابن كثير ٣/٤٣٣ .

(٢) تفسير المحرر الوجيز ١١/٤٥٣-٤٥٤ .

يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو يُنصِّرانه أو يُمجِّسانه كما تنتج البهيمة، هل تحسون فيها من جدعاء»[١]، فلم يقل: ويسلمانه، لأن الإسلام هو الفطرة، لذا ورد في رواية أخرى: «يولد على المِلَّة»، وفي أخرى «على هذه المِلَّة».

وعن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم، مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً»[٢].

قال النووي ﷺ: «قوله تعالى: وإني خلقتُ عبادي حنفاء كلهم، أي: مسلمين، وقيل: طاهرين من المعاصي، وقيل: مستقيمين منيبين لقبول الهداية، وقيل: المراد حين أخذ عليهم العهد في الذَّر، وقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف الآية ١٧٢] »[٣].

قال ابن كثير: «يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجَبَلهم عليه»[٤].

ومما استنتج من هذه الشهادة مع الفطرة تأكيد العهد والميثاق، وهو بهذا يتفق مع المدلول اللغوي للعقيدة المأخوذ من (عقد)، ومنه عقد وعقود، والعقود أوثق من العهود...[٥].

وقد أشار بعض علماء الاجتماع «إلى حاجة الإنسان إلى العقيدة ؛ لأنها تمثل الغذاء الروحي والفكري له، وتحقق له الهدوء والاستقرار النفسي، ولعل هذا هو ما يفسر سعي الإنسان المستمر للارتباط بعقيدة ما، من أجل إشباع الحاجة النفسية للعقيدة»[٦]، وفي ذلك دلالة واضحة على فطرية العقيدة.

وبما أن عقيدة الإسلام هي عقيدة الفطرة، وهي عقيدة العهد فإن الإنسان يبقى قلقاً حائراً مضطرباً نفسياً حتى يؤمن الإيمان الكامل بوجود الله ووحدانيته سبحانه وتعالى، فإذا وصل إلى هذه المرتبة وجد الأمن

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٣٨٥) ، ومسلم في صحيحه برقم(٢٦٥٨) .
(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم(٢٨٦٥) .
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٢٦٩/١ .
(٤) التفسير ٤٦٦/٦ .
(٥) ينظر: لسان العرب ، لا بن منظور ، مادة (عقد) ، ودراسات في العقيدة الإسلامية ، لمحمد الخطيب ص٩ .
(٦) بناء المجتمع الإسلامي ونظمه ، لنبيل السمالوطي ص٢٤ .

النفسي والراحة الداخلية والطمأنينة القلبية[١] .

وهذا من شواهد تميز الأمة الإسلامية إذ تسهم العقيدة «في صياغة الشخصية المتماسكة...وكذلك تسهم في تحقيق تماسك الجماعة وتحقيق التكامل الاجتماعي على مستوى المجتمع كله، لما تحققه من الشعور بالترابط والتقارب والإلفة والقوة بين أبناء العقيدة الواحدة، نتيجة لوحدة المنطلق ووحدة الهدف»[٢] .

وقال ابن القيم ﷺ في كلامٍ له عن الفطرة: «بل الطفل يختار مص اللبن بنفسه، فإذا مُكّنَ من الثدي وجدت الرضاعة لا محالة، فارتضاعه ضروري إذا لم يوجد معارض، وهو مولود على أن يرضع، فكذلك هو مولود على أن يعرف الله والمعرفة ضرورية لا محالة إذا لم يوجد معارض...»[٣] .

وكذلك الواقع شاهد على موافقة الفطرة للعقيدة الإسلامية القائمة على الإخلاص لله وحده، فما أن يصاب الإنسان بضر تعجز أمامه القوى المادية إلا ويلجأ إلى الله تعالى في تذلل وخضوع، ويستوي في ذلك الكافر والمؤمن، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [يُونُس الآية ٢٢].

وإذا أرادت هذه الأمة أن تعود إلى مجدها فلابد لها من لزوم هذه الفطرية السليمة وهي: «إقامة الوجه للدين حنيفاً، خالصاً لله، وذلك بمكابدة القرآن، ومجاهدة النفس به، قصد إخراجها من تشوهات الهوى إلى هدى القرآن الدين القويم، ومن ظلمات الضلال إلى نور العلم بالله»[٤] .

(١) أضواء على الثقافة الإسلامية ، لنادية العمري ص١٠١ .
(٢) بناء المجتمع الإسلامي ونظمه ، للسمالوطي ص٢٥ .
(٣) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، لابن القيم ص٣٠٠-٣٠١ .
(٤) الفطرية بعثة التجديد المقبلة ، فريد الأنصاري ص١٠٥ .

المبحث الثالث

الغيبية

قال الراغب الأصفهاني: «الغيب: مصدر غاب الشيء بمعنى استتر عن العيون، يقال: غاب عني كذا، واستعمل في كل غائب عن الحاسة، وعما يغيب عن علم الإنسان، بمعنى الغائب»[1].

وهذه الخصيصة تعني قيام العقيدة على التسليم بوجود الغيب، و تعني وجوب الإيمان بكل ما ورد في النصوص الشرعية من أمور الغيب، وعدم رد شيء منها أو تأويلها.

تقوم عقيدة التوحيد على الإيمان بأصول لا تخضع للحس المباشر أو غير المباشر، إنما تقع في مجال عالم الغيب، وهو العالم الذي غاب عن حواسنا ولا تقتضيه بداهة العقول.

فالإيمان بالله سبحانه وتعالى هو إيمان بالغيب ؛ لأن ذات الله تعالى غيب بالقياس إلى البشر، والإيمان بالآخرة وما يتصل به، هو كذلك إيمان بالغيب، والإيمان بالملائكة إيمان بالغيب والإيمان بالقدر، كل هذا غيب يؤمن به المؤمن الذي يريد الهداية: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢﴾ [البَقَرَة الآية ٢].

والإيمان بالغيب نزعة فطرية فطر الله تعالى الإنسان عليها، وهذا العلم المادي لا يستطيع أن يحكم على عالم الغيب ؛ لأنه خارج عن مجاله، فلا يجوز علمياً إنكار شيء لأجل أنه مغيَّب عنا أو غير مُحَس، أو لأنه غير قابل للتفسير.

ولذلك فإن كل ما تدعو إليه العقيدة الإسلامية وتقوم عليه من هذه الأمور الغيبية غير متناقضة مع العقل، وليس عنده وسيلة لإنكارها والتكذيب بوجودها، وليس فيها شيء يضطر الإنسان إلى رفضه والتخلي عنه بعد بلوغه أي مرحلة من مراحل الارتقاء العقلي والعلمي، بل الذي يقتضيه العقل على خلاف ذلك: أنها هي الصواب الذي لا يشوبه الخطأ...أما الإيمان والتصديق بهذه الأمور الغيبية (المغيبات)، فهما مرتهنان بطمأنينة الضمير وشهادة الوجدان، وكل ما للعقل من الدخل في شأنهما هو أن الأمور التي يكون التصديق بها مخالفا للعقل، فإن صراعا يقوم في شأنها بين العقل والوجدان، ولا يكون إيمان الإنسان بها إلا ضعيفا، وأما الأمور التي لا يكون التصديق بها مخالفا للقياس العقلي، أو التي يساعد العقل على التصديق بها، فإن

(١) مفردات القرآن ، للراغب الأصفهاني ص٣٦٦-٣٦٧ .

الضمير يزداد طمأنينة في شأنها، وذلك مما يقوي الإيمان ويزيده أصالة ورسوخاً[١] .

وهذه الخاصية للعقيدة الإسلامية تميزها عن المذاهب الفكرية المادية التي تتنكر للغيب ولا تؤمن إلا بما تقع عليه الحواس، ويخضع للتجربة الحسية، على ما ذهب إليه المذهب الوضعي التجريبي الذي عُرف به الفيلسوف الأسكتلندي (هيوم)، والذي نشأت عنه الفلسفة الوضعية[٢] .

كما أن (ماكس مولر) أيضا ذهب إلى أنه لا شيء يتحقق في عقيدة الإنسان ما لم يكن قد أتى من قبل عن طريق حواسه[٣] .

وبذلك يكون الإنسان الأوروبي، وكل مذهب مادي كذلك قد سجن نفسه بطريقة تحكمية في حدود حواسه الخمس، منذ عهد النهضة الأوروبية[٤] .

كما أن هذه الخاصية للعقيدة الإسلامية لها آثارها الضخمة في حياة الإنسان، فالإيمان بالغيب ارتقاء بالإنسان إلى المستوى الذي يليق بإنسانيته ويميزه عن المخلوقات التي لا تدرك إلا ما تدركه بحواسها .

وهو كذلك سبيل للتقدم العلمي وسعة الأفق في النظر والفكر، وفيه ضمانة أكيدة لاستقامة نفس المؤمن ونظافة سلوكه، عندما يشعر برقابة الله تعالى عليه، وأنه سبحانه يعلم السر وأخفى، فهو يعبد الله كأنه يراه، فيرتقي إلى مرتبة الإحسان . ويكون عمله في غاية الإتقان لأنه يراقب ربه عز وجل ولايريد من أحد جزاءً ولاشكورا

(١) ينظر: الحضارة الإسلامية : أسسها ومبادئها ، للمودودي ص١١٦, ١١٧ .

(٢) انظر عن هذا المذهب ومناقشته : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، للدكتور : محمد البهي ص٢٣٣-٢٣٧ ، الدين ، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ، د.محمد عبدالله دراز ص٨٤-٨٦ ، العلمانية : نشأتها وتطورها ، د.سفر الحوالي ص٣٧٧-٣٨٠ .

(٣) نشأة الدين ، د.علي سامي النشار ص٧٠ ، ٧١ .

(٤) تأملات في سلوك الإنسان ، تأليف ألكسيس كاريل ، ترجمة د . محمد القصاص ص١٦٢ .

المبحث الرابع

الشمولية

ومما تمتاز به عقيدة التوحيد بنظرتها الشمولية للكون والحياة... فقد عرّفت الإنسان تعريفاً كاملاً، أصله ونشأته وأطواره وحياته وموته وحياته ما بعد الموت، وما يرافق ذلك حتى يقر به القرار إما لجنة أو لنار. وكذلك تطرقت للكون أصله وظواهره والغاية منه.

وتطرقت العقيدة للحياة بشقيها الدنيوي والأخروي، وما يترتب على الإنسان في كلتي الحياتين، وامتاز هذا التطرق من جهة العقيدة بتوازن، فعلى سبيل المثال تناولت الإنسان وهو في بطن أمه، وتناولته ما بعد الولادة، وما بعد الممات، وكذلك الكون تناولت أصله وما سيؤول إليه، وتطرقت للحياة الدنيا وبيّنت حقيقتها، وللآخرة وحقيقتها، قال تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ [القَصَص الآية ٧٧].

وصورة أخرى من صور خاصية الشمول، تظهر في الحديث عن حقيقة العبودية وخصائصها وصفاتها، ممثلة في عبودية الكون والحياة والإنسان، فيبين طبيعتها ونشأتها وأحوالها وعلاقتها فيما بينها، ثم علاقتها بالحقيقة الإلهية الكبرى. ويربط بين مجموع تلك الحقائق من جميع جوانبها، في تصور واحد منطقي فطري، يتعامل مع بديهة الإنسان وفكره ووجدانه، ومع مجموع الكينونة البشرية في يسر وسهولة. وهذا أمر بيّن في كتاب الله تعالى والآيات فيه كثيرة.

وصورة ثالثة من صور الشمول في عقيدة التوحيد: أن الحديث عن تلك الحقائق الكلية السابقة، إنما يأتي في القرآن الكريم بأسلوب يخاطب فيه الكينونة الإنسانية بكل جوانبها وبكل أشواقها، وبكل حاجاتها، وبكل اتجاهاتها، ويردها إلى جهة واحدة تتعامل معها، وتتوجه إليها بكل شيء... لأنها خالقة كل شيء ومالكة كل شيء ومدبرة كل شيء. وعندئذ تتجمع هذه الكينونة شعورا وسلوكا وتصورا واستجابة... في شأن العقيدة والمنهج وفي شأن الاستمداد والتلقي، وشأن الموت والحياة، وشأن السعي والحركة، وشأن الدنيا والآخرة.

وهكذا شمول هذه العقيدة لنواحٍ متعددة، وقضايا كثيرة، يمكن أن نجملها ونشير إليها في مجالات متعددة، ومحاور مختلفة، وهي:

١- ففي مجال الاعتقاد، تشمل الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والنبيين والكتب السماوية والقدر خيره وشره.

٢- وفي مجال العمل، تشمل العمل للدنيا والعمل للآخرة في ذات الوقت .

٣- وفي مجال الكائن البشري، تشمل حركة جسمه وتفكر عقله وانطلاقة روحه .

٤- وفي مجال المجموع البشري، تشمل الفرد والجماعة والأمة والدولة في ذات الوقت .

٥- وفي مجال العلاقات، تشمل علاقة الإنسان بربه وعلاقته بنفسه وعلاقته بغيره في داخل الأسرة وفي داخل المجتمع وفيما بين المسلمين وغير المسلمين، وفيما بين الإنسان والكون كذلك .

ولن توجد دائرة أوسع من هذه ولا أشمل . لأن هذه تشمل كل شيء في الوجود، فهي عامة، شاملة، صالحة لكل زمان ومكان، وحال، وأمة . بل إن الحياة لا تستقيم إلا بها . قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المَائِدَة الآية ٣].

وأثر هذه الخاصية البارزة في العقيدة: أن هذا الشمول فوق أنه مريح للفطرة البشرية ؛ لأنه يواجهها بمثل طبيعتها الموحدة، ولا يكلفها عنتا، ولا يفرقها مِزَقاً..هو في الوقت ذاته يعصمها من الاتجاه لغير الله في أي شأن وأي لحظة ؛ أو قبول أية سيطرة تستعلي عليها بغير سلطان الله، وفي حدود منهج الله وشريعته في أي جانب من جوانب الحياة، فليس الأمر والهيمنة والسلطان لله وحده في أمر العبادات الفردية، ولا في أمر الآخرة وحدهما، بل الأمر والهيمنة والسلطان لله وحده في الدنيا والآخرة، في السموات والأرض، في عالم الغيب والشهادة، في العمل والصلاة... وفي كل نَفَس، وكل حركة، وكل خالجة، وكل خطوة، وكل اتجاه[1] .

وههنا أمر مهم تصنعه النية في المسلم الحريص على صلاح نيته، وتدل على الشمولية في أوضح معانيها، فذلك الأمر هو تحويل الأعمال التي يظنها الناس أعمالاً دنيوية أو ترفيهية بحتة إلى أعمال تعبدية يثاب عليها صالحوا النية ثواباً عظيماً .

وهنا يجدر بنا أن نشير إلى بعض الأحاديث النبوية الصحيحة الدالة على هذا المعنى الجليل: «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها، حتى ما تجعل في فيّ امرأتك»[2]، وروى البخاري ومسلم أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أنفق الرجل على أهله (يحتسبها) فهو له صدقة»[3] .

حتى وهو يمارس شهوته تتحول هذه الشهوة إلى عبادة لله إذا أصلح نيته، وقصد بذلك إعفاف نفسه وأهله عن الوقوع فيما حرم الله، أو إنجاب الذرية الصالحة النافعة للمسلمين، وقد قال النبي ﷺ: «وفي بُضْع أحدكم صَدَقة، قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته يكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في الحرام

(١) خصائص التصور الإسلامي، لسيد قطب ص١١٠ وما بعدها، والعقيدة الإسلامية في القرآن الكريم، د.عثمان جمعة ضميرية ص١٢١ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم(٥٦) و (١٢٣٣) واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم(١٦٢٨) وغيرهما .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه برقم(٥٥) ومسلم في صحيحه برقم(١٠٠٢) وغيرهما .

أكان عليه فيها وزر؟!! وكذلك إذا وضعها في الحلال كان له فيها أجر»[١] .

إن الله سبحانه وتعالى يدعونا ويربينا على هذه الشمولية، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [البَقَرَة الآية ٢٠٨]، هكذا (كافة) تشتمل على جميع شرائع الإسلام دونما تجزئة له، بأخذ بعضه وترك بعضه الآخر في انتقائية يسوسها الهوى ويقودها الجهل بشمول هذا الدين وعظمته ؛ ولهذا عاب الله تعالى على من جزّأ هذا الدين وفرّقه، فقال تعالى: ﴿ كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ٩٠ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ٩١﴾ [الحِجر من الآية ٩٠ الى الآية ٩١] ، قال ابن عباس: قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ٩١﴾ [الحِجر الآية ٩١]، قال: فِرَقاً جزَّؤوه فجعلوه أعضاء كأعضاء الجزور، وعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: «جزَّؤوه فجعلوه أعضاءً، فآمنوا بعضه، وكفروا ببعضه»[٢] .

ومن أكبر أسباب ضلال الفرق وانقسامها شيعاً وأحزاباً، وتخلف المسلمين قديماً وحديثاً، هو عدم الفهم الشمولي لهذا الدين، والوقوع في تجزئته وجعله عضين، وقد توسعت في ذكر مفهوم هذه القراءة التجزيئية، وأسبابها، وآثارها، وعلاجها في كتابي القراءة التجزيئية للنصوص الشرعية[٣] .

(١) رواه أحمد في المسند برقم(٢١٤٧٣) ، ومسلم في صحيحه برقم(٢٢٩٢) وغيرهما .

(٢) تفسير الطبري ١٣٤/١٤ .

(٣) وهو من إصدارات سلسلة دعوة الحق ، من مطبوعات رابطة العالم الإسلامي .

المبحث الخامس

الوسطية

الوسط اسم لما بين طرفي الشيء وهو منه، وأوسط الشيء أفضله وخياره، كوسط المرعى خير من طرفيه، وكوسط الدابة للركوب خير من طرفيها ؛ لتمكن الراكب .

وعليه فإن الوسطية تعني: التوازن بين الأمور المتقابلة، والتوسط بين الأطراف المتباعدة على ما تقتضيه النصوص الشرعية .

والوسطية من أظهر خصائص عقيدة التوحيد .

إن عقيدة التوحيد وسط بين الذين ينكرون كل ما وراء الطبيعة مما لم تصل إليه حواسهم، وبين الذين يثبتون للعالم أكثر من إله، والذين يحلون روح الإله في الملوك والحكام، بل وفي بعض الحيوانات والنباتات والجمادات؟!! .

فقد رفضت عقيدة التوحيد الإنكار الملحد، كما رفضت التعدد الجاهل والإشراك الغافل، وأثبتت للعالم إلهاً واحداً لا شريك له، كما أنها وسط في الصفات الواجبة لله تعالى، فلم تسلك سبيل الغلو في التجريد فتجعل صفات الإله صوراً ذهنية مجردة عن معنى قائم بذات لا توحي بخوف ولا رجاء، كما فعلت الفلسفة اليونانية، ولم تسلك كذلك سبيل التشبيه والتمثيل والتجسيم كما فعلت بعض العقائد حيث جعلت الإله كأنه أحد المخلوقين، يلحقه ما يلحقهم من نقص وعيوب .

فعقيدة تنزّه الله تعالى إجمالا عن مشابهة المخلوقين بقواعد، مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشُورَى الآية ١١]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخْلَاص الآية ٤]، وقوله تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مَرْيَم الآية ٦٥].

ومع هذا تصفه بصفات إيجابية فعالة تبعث الخوف والرجاء في نفوس العباد، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ﴾ [مَرْيَم من الآية ٧٣ الى الآية ٧٦] . ثم إنها وسط بين التسليم الساذج والتقليد الأعمى في العقائد، وبين الغلو والتوغل بالعقل لإدراك كل شيء حتى الألوهية، فهي تنهى عن التقليد الأعمى، حيث عاب الله على القائلين ﴿إِنَّا

وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الزُّخرُف الآية ٢٢]، وتنهى عن التوغل بالعقل لإدراك كيفية صفات الرب عز وجل، فقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه الآية ١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسْرَاء الآية ٣٦]، وتدعوهم إلى التوسط والأخذ بالمدركات كوسائط، قال تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذَّارِيَات من الآية ٢٠ الى الآية ٢١].

- **أهم مظاهر وسطية أهل السنة والجماعة:**

تعددت مظاهر وسطية أهل السنة والجماعة الدالة على كثرة فضائلهم وعلو شأنهم في الدين، ومن أهم هذه المظاهر:

أولاً: وسطيتهم في أسماء الله وصفاته:

فهم وسط بين طرفين في هذا الباب، بين أهل الجحد والتعطيل وبين أهل التشبيه والتمثيل، فهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يقولون كما قال الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشُّورَى الآية ١١].

ثانياً: وسطيتهم في أفعال الله ﷻ:

فهم وسط في أفعال الله تعالى بين القدرية النُّفاة الذين أنكروا أن الله خلق أفعال العباد، وبين الجَبْرية الغُلاة الذين أنكروا أن للعبد فعلاً وإرادة، فأثبت أهل السنة والجماعة إرادة الله التي هي صفته، وإرادة العبد التي هي صفته، فهم وسط بين المعتزلة المكذبين بالقدر، وبين الجبرية النافين لحكمة الله ورحمته وعدله .

ثالثاً: وسطيتهم في الوعد والوعيد:

وهم وسط في هذا الباب بين الوعيدية من المعتزلة والخوارج الذين جزموا بتخليد مرتكب الكبيرة في النار، وبين المرجئة الذين لا يجزمون بتعذيب أحد من فساق الأمة . فهم وسط، وقالوا في مرتكب الكبيرة: إنه في الآخرة تحت المشيئة، إن شاء الله عذبه بقدر ذنوبه، وإن شاء غفر له، ثم أدخلهم إلى الجنة فضلاً منه تعالى ورحمة .

رابعاً: وسطيتهم في أسماء الدين والإسلام والإيمان:

وهم كذلك وسط في أسماء الدين التي تلحق أهلها في الدنيا من الحكم بالفسق والكفر ونحوهما، فهم وسط بين المعتزلة الخوارج الذين أخرجوا مرتكب الكبيرة عن مسمى الإيمان، إن جعلته المعتزلة في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر، وأما الخوارج فقالوا بكفره .

وأما أهل السنة والجماعة فقالوا في مرتكب الكبيرة: إنه فاسق بكبيرته، مؤمن بإيمانه، لكنه ناقص الإيمان .

خامساً: وسطيتهم في أصحاب رسول الله ﷺ:

وهم وسط بين الغالية من الشيعة الذين غلوا في علي رضي الله عنه حتى جعله بعضهم إلهاً، أو فضلوه على أبي بكر وعمر، وبين الجفاة الذين سبوه ومن معه من الصحابة ولعنوهم و استحلوا دمائهم .

فدَانَ أهلُ السنة والجماعة الله تعالى بحب جميع أصحاب رسول الله ﷺ، وتولوهم، وترضوا عنهم، واعتذروا لهم عما جرى بينهم من الخلاف، وأنهم كانوا فيه ما بين مصيب ومجتهد مخطىء له أجر اجتهاده ومعفو عنه خطؤه .

سادساً: وسطيتهم في المنقول والمعقول:

فهم وسط كذلك بين المعتزلة والمتكلمين الذين غلوا في المعقول وجعلوه مقدماً على المنقول، وبين الأشعرية الذين جفوا عن المعقول، ونفوا العلل والحكمة في التشريع التي جعلها الله مناطاً لأحكامه وشرائع دينه .

فكان أهل السنة والجماعة وسط بينهم، فقبلوا من المنقول ما صحت روايته ودلالته، ومن المعقول ما لا يتعارض مع الكتاب والسنة وإجماع قائم، وقرروا أن صحيح المنقول لا يتعارض مع صريح المعقول، وأن الشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تُحار فيه العقول .

سابعاً: وسطيتهم في أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين:

وكذلك هم وسط في أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين، لم يغلوا فيهم كما غلت النصارى فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم، وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون، ولا جفوا عنهم كما جفت اليهود ؛ فكانوا يقتلون الأنبياء بغير حق، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقا وقتلوا فريقاً . بل المؤمنون آمنوا برسل الله وعزروهم ونصروهم ووقروهم وأحبوهم وأطاعوهم ولم يعبدوهم ولم يتخذوهم أرباباً كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۚ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عِمْرَان من الآية ٧٩ الى الآية ٨٠] .

ومن ذلك أن المؤمنين توسطوا في (المسيح)، فلم يقولوا هو الله، ولا ابن الله، ولا ثالث ثلاثة، كما تقوله النصارى، ولا كفروا به وقالوا على مريم بهتاناً عظيماً حتى جعلوه ولد بَغِيَّة كما زعمت اليهود .

بل قال أهل السنة والجماعة: هذا عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول وروح منه .

وكذلك المؤمنون وسطٌ في شرائع دين الله، فلم يحرموا على الله أن ينسخ ما شاء، ويمحو ما شاء ويثبت، كما قالته اليهود، كما حكى الله تعالى ذلك عنهم بقوله: ﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن

قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ﴾ [البَقَرَة الآية ١٤٢]، وبقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْۗ﴾ [البَقَرَة الآية ٩١].

ولا جوّزوا لأكابر علمائهم وعبادهم أن يغيّروا دين الله فيأمروا بما شاءوا وينهوا عما شاءوا كما يفعله النصارى، كما ذكر الله ذلك عنهم بقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التَّوْبَة الآية ٣١] ، قال عدي بن حاتم رضي الله عنه: «قلت: يا رسول الله ما عبدوهم؟ قال: ما عبدوهم، ولكن أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم، وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم»[1] .

(١) أخرجه الطبري في التفسير ٢١٠/١٤ ، ورواه الترمذي مختصراً في تفسيره سورة براءة ٤٩٢/٨-٤٩٤ ، وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب ، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث . وعزاه السيوطي أيضاً : لابن سعد عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم والطبراني ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقي . ينظر: الدرالمنثور ١٧٤/٤ ، الكافي الشافي ص٧٥ ، جماع بيان العلم وفضله ، لابن عبد البر ص٤٣٧ .

المبحث السادس

العملية

إن عقيدة التوحيد ليست عقيدة جامدة خاملة، بل هي عقيدة عملية متحركة متفقة مع طبيعة الإنسان الذي خلقه الله في هذا الوجود . وماهذا البحث إلا لإبراز الجانب العملي في حياة الموحد وأثره في إتقان العمل والإبداع فيه .

وتعريف أهل السنة والجماعة للإيمان بأنه (قول) و(عمل) من أكبر الشواهد على هذه الخصيصة، فهو عندهم مركب منهما لا ينفصل أحدهما عن الآخر، فالقول ركن، والعمل ركن .

كما إن من الأسماء التي استحب النبي ﷺ التسمي بها اسمي (حارث) و(همام) ؛ لما فيهما من العملية، فقال ﷺ : «خير الأسماء عبدالله وعبدالرحمن، وأصدق الأسماء همام وحارث وشر الأسماء حرب ومرة»[١]، وقد جاء الحديث بلفظ: «خير الأسماء عبدالله، وعبدالرحمن، ونحو هذا، وأصدق الأسماء الحارث وهمام، حارث لدنياه و لدينه، وهمام بهما، وشر الأسماء حرب و مرة»[٢] .

قال المنذري: «وإنما كان حارث وهمام أصدق الأسماء ؛ لأن الحارث هو الكاسب والهمام هو الذي يهم مرة بعد أخرى وكل إنسان لا ينفك عن هذين»[٣] .

وكل إنسان لا يخلو من الحرث والهم، أي: العمل والإرادة، فالتسمية بحارث وهمام وصف للطبيعة البشرية على ما هي عليه دون اقتضاء مدح أو ذم للمسمى، ولهذا كانا أصدق الأسماء [٤] .

فالإنسان حارث همام بالطبع، كما قال النبي ﷺ : «أصدق الأسماء حارث وهمام»[٥] .

فالحارث: الكاسب العامل، والهمام: المريد، فإن النفس متحركة بالإرادة، وحركتها الإرادية لها من لوازم ذاتها، والإرادة تستلزم مراداً يكون متصوراً لها متميزا عندها، فإن لم تتصور الحق وتطلبه وتريده تصورت

(١) رواه الإمام أحمد (٣٤٥/٤) ، وأبو داود برقم(٤٩٥٠) ، وصححه شيخ الإسلام .
(٢) ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم(٩٠٤) .
(٣) الترغيب والترهيب للمنذري برقم(٣٠٣٠) .
(٤) ظاهرة الإرجاء ص٧٥ .
(٥) ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم(٩٠٤) .

الباطل وطلبته وأرادته ولا بد[1] .

وانطلاقة المسلم في تعمير الأرض تعد من الإيمان بالله، فهو معيار تقيّم على أساسه استقامة حركته في الحياة أو انحرافها، وهذا المعيار يعطي العبد في سعيه الحضاري شيئين:

١ - قوة دفع في تحريك الحياة، فهو يسير في إنجازه الحضاري مقترناً بإمداد الرب وتوفيقه، كما جاء في الحديث: «وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه).

٢ - الإيمان بالله وتقواه للذي يملك الحياة والإحياء، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأَعْرَاف الآية ٩٦]، فهذه الآية تقرر أصلاً عظيماً، وهو أن الإيمان والتقوى وتحقيق منهج الله في واقع الحياة البشرية في هذه الدنيا، لا يكفل لأصحابه جزاء الآخرة وحده، وإن كان هو المقدم وهو الأدوم، ولكنه كذلك يكفل إصلاح أمر الدنيا، فهذه الآية تضعنا أمام حقيقة من حقائق العقيدة، وحقائق الحياة البشرية والكونية سواء، وأمام عامل من العوامل المؤثرة في تاريخ الإنسان، تذهل عنه المذاهب الوضعية، وتغفله كل الإغفال، بل تنكره كل الإنكار .

إن العقيدة الإيمانية في الله، وتقواه، ليست مسألة منعزلة عن واقع الحياة، وعن خط تاريخ الإنسان، إن الإيمان بالله وتقواه ليؤهلان لفيض من بركات السماء والأرض .

والإيمان بالله قوة دافعة دافقة، تجمع جوانب الكينونية البشرية كلها، وتتجه بها إلى وجهة واحدة، وتعمل لتحقيق خلافة الأرض وعمارتها، وفي دفع الفساد والفتنة عنها، وفي ترقية الحياة ونمائها .

وحين تسير الحياة متناسقة بين الدوافع والكوابح، عاملة في الأرض، متطلعة إلى السماء، متحررة من الهوى والطغيان البشري، عابدة خاشعة لله، تسير سيرة صالحة منتجة تستحق مدد الله بعد رضاه، فلا جرم تحفها البركة، ويعمها الخير، ويظلها الفلاح... والبركات التي يعد الله بها الذين يؤمنون ويتقون، في توكيد ويقين، ألوان شتى لا يفصِّلها النص، ولا يحددها، وإيحاء النص القرآني يصور الفيض الهابط من كل مكان، بلا تحديد ولا تفصيل ولا بيان، فهي البركات بكل أنواعها وألوانها، وبكل صورها وأشكالها، ما يعهده الناس وما يتخيلونه، وما لم يتهيأ لهم في واقع ولا خيال .

فالبركة قد يكون مع القليل إذا أحسن الانتفاع به، وكان معه الصلاح والأمن والرضا والارتياح...وكم من أمة غنية قوية ولكنها تعيش في شقوة، مهددة، في أمنها، مقطعة الأواصر بينها، يسود الناس فيها القلق وينتظرها

(١) المصدر السابق ص٨٠ .

الانحلال، فهي قوة بلا أمن، وهو متاع بلا رضا، وهي وفرة بلا صلاح، وهو حاضر زاهٍ يترقبه مستقبل نكد، وهو الابتلاء الذي يعقبه النكال ؛ لأنها لم تؤسس على عقيدة التوحيد الخالص لله تعالى . وإن البركات الحاصلة مع الإيمان والتقوى، بركات في الأشياء، وبركات في المشاعر، وبركات في طيبات الحياة، بركات تنمي الحياة وترفعها في آنٍ، وليست مجرد وفرة مع الشقوة والتردي والانحلال .

فكل حركة في الحياة تأتي بعيداً عن الإيمان بالله، هي أساس كل انحراف، وحمل هموم الدنيا، بعيداً عن أُطر الوحي، يؤدي في النهاية إلى التخلي عن دور الخلافة الرشيدة على الأرض، والبعد عن القيم المعصومة التي توجه المسيرة، وتحدد الهدف، وتشدّ الإنسان إلى السماء، كما نلاحظ ذلك جيداً في النموذج الاستعماري الغربي المنقطع عن هدي السماء وأخلاقياته في تحريك الحياة[1] .

(١) ينظر: دراسات في العقيدة الإسلامية للهزايمة ص١٦-١٧، والخلاصة في خصائص العقيدة الإسلامية، لعلي الشحود ص١١٥-١١٦ .

المبحث السابع

العقلانية

إن مصدر تلقي العقيدة هو النص من القرآن الكريم والسنة النبوية، لكن لم يكن ذلك من باب الاعتقاد الأعمى، بل أقام عليه الأدلة من العقل، وطلب من البشر أن يفكروا لتمتلئ نفوسهم إيماناً، فقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١﴾ [يُونُس الآية ١٠١].

فعقيدة التوحيد تحترم العقل السوي، وترفع من شأنه، ولا تحجر عليه، ولا تنكر نشاطه، والإسلام لا يرضى من المسلم أن يطفئ نور عقله، ويركن إلى التقليد الأعمى في مسائل الاعتقاد وغيرها، قال تعالى: ﴿ ۞أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩﴾ [الرَّعْد الآية ١٩].

لا يستوي المهتدي من الناس، الذي يعلم أن الذي أنزل عليك يا محمد من ربك هو الحق، الذي لا شك فيه، مع الضال، الذي لا يعلم ذلك ؛ لأنه يكون كالأعمى لا يهتدي إلى خير، ولا يفهمه، ولو فهمه ما انقاد إليه، ولا صدق به ولا انتفع؟ فالذين يتعظون ويعتبرون هم أصحاب العقول السليمة، والبصائر المدركة ﴿أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الرَّعْد الآية ١٩]. إن المقابل لمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك هو الحق ليس هو من لا يعلم هذا، إنما المقابل هو الأعمى! وهو أسلوب عجيب في لمس القلوب وتجسيم الفروق .

والناس إزاء هذه الحقيقة الكبيرة صنفان: مبصرون فهم يعلمون، وعمي فهم لا يعلمون! والعمى عمى البصيرة، وانطماس المدارك، واستغلاق القلوب، وانطفاء قبس المعرفة في الأرواح، وانفصالها عن مصدر الإشعاع.. ﴿أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩﴾ [الرَّعْد الآية ١٩]، الذين لهم عقول وقلوب مدركة تذكر بالحقّ فتتذكر، وتنبه إلى دلائله فتتفكر .

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «أنه لا يوجد نص صحيح يخالف العقل، وإذا وجدت المخالفة فإما أن تكون مخالفة ظاهرية وإمكانية الجمع بينهما حاصلة، وإما أن تكون المخالفة ناشئة عن علة في العقل، كأن يكون صاحبه من أهل البدع والأهواء، فيحاول أن يلوي النص ليوافق عقله، وإما أن تكون المخالفة من جهة أن نسبة النقل إلى النبي ﷺ غير صحيحة»[1] .

(١) درء تعارض العقل والنقل .

وكذلك فإن العقيدة الإسلامية عقيدة واقع، لا عقيدة خيال، فهي تتمشى مع واقع الإنسان ومتطلبات وجوده، كما أنها ليست خيالية يصعب تطبيقها، فلا تطلب من الإنسان فوق طاقته، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البَقَرَة الآية ٢٨٦].

فهي لا تكتفي من تقرير القضايا بالإلزام المجرد أو التكليف الصارم، كما لا تكتفي بمخاطبة القلب والوجدان والاعتماد عليهما أساساً للاعتقاد، بل تتبع قضاياها بالحجة والبراهين الناصعة والواضحة، فنرى القرآن الكريم في قضية الألوهية يقيم الأدلة من الكون ومن النفس ومن التاريخ على وجود الله، وعلى وحدانيته وكماله، وكذلك قضية البعث وكافة القضايا الأخرى التي تطرحها .

ومن مظاهر العقلانية في العقيدة الإسلامية بصفة عامة، وعقيدة أهل السنة بصفة خاصة ما يأتي:

أولاً: احترام عقيدة أهل السنة للعقل والحث على التعقل:

لقد رفع الوحي من قيمة العقل وحث على العقل، وأثنى على العقلاء، فقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٨﴾ [الزُّمَر من الآية ١٧ الى الآية ١٨]، كما عنيت كثير من الآيات بالدعوة إلى التعقل، كما جاء في مثل قوله تعالى: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [يُوسُف الآية ٢]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [مُحَمَّد الآية ٢٤]، ويخص الوحي العقلاء بالتذكر مثنياً عليهم فيقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩﴾ [الرَّعْد الآية ١٩]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢١﴾ [الزُّمَر الآية ٢١].

وجاء عن أبي العلاء قال: «ما أعطي عبد بعد الإسلام أفضل من عقل صالح يرزقه»[1] .

وقال مطرف: «ما أوتي أحد من الناس أفضل من العقل»[2] .

ثانياً: ذم التقليد الأعمى الذي هو حجاب العقل وغطاء الفهم:

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝٦٦﴾ [مَرْيَم من الآية ٦٥ الى الآية ٦٦].

وعند هذه الآية حكى القرطبي ﷺ إجماع الأمة على إبطال التقليد في العقائد، وقد ذكر فيه غيره خلافاً القاضي أبي بكر بن العربي وأبي عمرو عثمان بن عيسى بن درباس الشافعي .

قال ابن درباس في الانتصار له: «وقال بعض الناس يجوز التقليد في أمر التوحيد، وهو خطأ ؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزُّخْرُف الآية ٢٣]، فذمهم بتقليدهم وتركهم اتباع الرسل، كصنيع أهل الأهواء في

(١) رواه ابن ابي شيبة في مصنفه برقم(٢٥٩٤٢) .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف برقم (٣٥١٣٩) .

تقليدهم كبرائهم وتركهم اتباع محمد ﷺ في دينه، ولأنه فرض على كل مكلف تعلم التوحيد والقطع به، وذلك لا يحصل إلا من جهة الكتاب والسنة»[١] .

وكذا جاء عن أئمة المذاهب الأربعة رحمهم الله تعالى أنهم ينهون الناس عن تقليدهم، والأخذ بأقوالهم بغير معرفة دليلهم، فهذا أبو حنيفة يقول: «لا ينبغي لمن لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي»[٢]، وكان يقول إذا أفتى: «هذا كلام النعمان بن ثابت -يعني نفسه- وهو أحسن ما قدرنا عليه، فمن جاء بأحسن منه فهو أولى بالصواب»[٣] .

وقال مالك: «إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه»[٤]، وقال أيضاً: «ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ »[٥] .

وعن الشافعي أنه كان يقول: «إذا صح الحديث فهو مذهبي»[٦]، وفي رواية: «إذا رأيتم كلامي يخالف الحديث فاعملوا بالحديث واضربوا بكلامي الحائط»[٧] .

وكذا الإمام أحمد ﷺ يقول: «لا تقلدني، ولا تقلد مالكاً، ولا الشافعي، ولا الأوزاعي، ولا الثوري، وخذ من حيث أخذوا»[٨] .

ثالثاً: توجيه العقل إلى مجالاته النافعة، وكفه عن الخوض فيما لا يطيقه:

إن الله سبحانه وتعالى خلق العقل، وأعطاه قدرات على التفكير والإعمال فيما حوله، إلا أن هذه القدرات محدودة لا يمكنه أن يتعدى ما خلق له ؛ لذا فإن من العقل أن يعمل العقل في بابه، لا يتعدى به إلى ما لا يمكن له إدراكه، وقد اعتنى القرآن الكريم بهذا التوجيه، قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١﴾ [يُونُس الآية ١٠١]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦﴾ [ق الآية ٦]، وقال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [الذَّارِيَات الآية ٢١] .

---

(١) تفسير القرطبي ٢١٢/٢ .
(٢) إعلام الموقعين ٣٠٩/٢ ، وحاشية ابن عابدين على البحر الرائق ٢٩٣/٦ .
(٣) عقد الجيد لأحمد الدهلوي ص٣٢ ، وإيقاظ الهمم لصالح العمري ص٥٢ .
(٤) جامع بيان العلم وفضله ، لابن عبد البر ٣٢/٢ .
(٥) جامع بيان العلم وفضله ، لابن عبد البر ٩١/٢ .
(٦) المجموع ، للنووي ٦٣/١ .
(٧) عقد الجيد ص٣٢ .
(٨) إعلام الموقعين ، لابن القيم ٣٠٢/٢ .

وقال ﷺ: «تفكروا في آلاء الله، ولا تفكروا في الله»[١]، وكل ذلك توفير لطاقته فيما يطيق ويحسن.

ولذلك لما خاض أناس بعقولهم في غير ما خلقت له رجعوا خائبين خاسرين ولم يظفروا بشيء مما أرادوا، والموفق منهم من رجع عما كان عليه إلى عقيدة أهل السنة والجماعة والكف عن الخوض بالعقول فيما لا تدركه، ومن أمثال هؤلاء: أبي الحسن الأشعري، والجويني، وإمام الحرمين، والشهرستاني، والفخر الرازي وغيرهم.

وما أحسنها من مقولة لوهب بن منبه: «نظرت في القدر فتحيرت، ثم نظرت فيه فتحيرت، ووجدت أعلم الناس بالقدر أكفهم عنه، وأجهل الناس بالقدر أنطقهم فيه»[٢].

رابعاً: أهل السنة والجماعة وسط بين المهملين للعقل والمقدسين له:

إنه ما من مسألة يختلف فيها الناس إلا وهم على ثلاثة أصناف: طرفيين ووسط، وهكذا الحال هنا، فالصوفية ألغوا عقولهم وساروا وراء أذواقهم، وزعموا أنه لا تحصل الأحوال الكاملة إلا مع غياب العقل بالجنون والسكر والوله، وعلى نقيضهم بعض المتكلمين كالمعتزلة الذين عظموا عقولهم وآراءهم، حتى جعلوا الطريق إلى معرفة التحسين والتقبيح إنما هو العقل وحده، فالعقل عندهم وحده هو الذي يعلم العلم الكامل بحسن الفعل وقبحه.

والحق الذي عليه أهل السنة والجماعة أن العقل يدرك حسن الأفعال وقبحها، كحسن العدل والصدق وقبح الظلم والكذب، لكنه لا يدرك تفاصيل ذلك ولا يدرك الثواب والعقاب بل ذلك لا يعرف إلا بالشرع، وكذلك لا يستقل في ذلك، مع أن الجميع متفقون على أن من الأشياء ما لا يدرك إلا بالشرع، وذلك كتفاصيل الشرائع والعبادات[٣].

وعليه فمن اهتدى بمنهج أهل السنة في دراسة العقيدة وعلم التوحيد اهتدى عقله، واستنار رأيه، وسلم ذهنه من الانحراف، وأنجى نفسه من محارات الفلسفة، وخيالات المتصوفة، وجهالات المتكلمة، وشطحات الفرق جميعاً، ووقف على الحجج البينة والأدلة القاطعة، والبراهين الظاهرة في مسائل العقيدة، وكثر صوابه، وقل خطؤه، واجتمعت عنده محاسن الفرق خالصة من كل كدر، وأمن من شرور البدع.

---

(١) العظمة لابن حيان الأصبهاني ٢١٠/١، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم(٢٩٧٥).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز ص١٧٣، شرح الفقه الأكبر، للقاري ص ٦٩.

(٣) مجموع الفتاوى ٤٣٤/٨-٤٣٦، ومنهاج السنة ٣٦٤/١.

المبحث الثامن

السماحة والوضوح

ومما تمتاز به عقيدة التوحيد كذلك السماحة والبساطة واليسر، إذ يستطيع أن يفهمها الناس على اختلاف مستوياتهم العقلية والثقافية والاجتماعية، وهي تقوم على حقائق واضحة، فأساسها التوحيد الذي يوضح العلاقة بين الإنسان وربه، فالله وحده هو صاحب الملك، أوصل هديه للناس عن طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهي تتجاوب مع فطرته وعقله .

فهي عقيدة واضحة لا غموض فيها ولا تعقيد، فهي تتلخص في أن لهذه المخلوقات إلها واحدا مستحقا للعبادة هو الله تعالى، الذي خلق الكون البديع المنسق، وقدر كل شيء فيه تقديرا، وأن هذا الإله ليس له شريك ولا شبيه ولا صاحبة ولا ولد .

فهذا الوضوح يناسب العقل السليم، لأن العقل دائماً يطلب الترابط والوحدة عند التنوع والكثرة، ويريد أن يرجع الأشياء المختلفة إلى سبب واحد .

فالعقيدة الإسلامية ليس فيها ألغاز، ولا فلسفات، ولا غموض، فالعقيدة في الكتاب والسنة وعلى ألسنة أكثر السلف، سهلة ميسورة يفهمها العامي بقدر والمثقف بقدر، وطالب العلم بقدر، والعالم الراسخ بقدر، كل يفهمها، ليس في ثوابت العقيدة ما لا يفهم، ليس فيها ما هو عسير بعكس عقائد أهل الأهواء والبدع، وهذا أمر عجيب، كل أهل الأهواء والبدع يوجد في أصولهم ما لا يفهمه إلا الخاصة منهم بدون استثناء، لا يفهمه العوام، ولا حتى طلاب العلم إلا المتخصص منهم، ما عدا عقيدة التوحيد، عقيدة أهل السنة والجماعة، العقيدة الحق تتميز بالسهولة واليسر والإحكام والوضوح، وأيضا ثبوت المصطلحات، أصول العقيدة كلها، مصطلحاتها الشرعية ثابتة إلى قيام الساعة، لا تختلف من بين وقت ووقت .

- **وأهم ما يميز يسر ووضوح وبساطة العقيدة:**

١- العلاقة التي تقيمها بين العبد وربه هي علاقة واضحة، عبودية العبد لربه الذي يتوجه إليه، بالطلب والرجاء والدعاء... إلخ .

٢- تجاوب الناس معها عبر التاريخ، ففي مدة وجيزة من غير إكراه أو إجبار انتسب إليها الكثير من مختلف الجنسيات والألوان .

٣- انتشارها في شتى بقاع الدنيا، يدل على بساطتها وخلوها من التعقيد، فهي ليست رموزاً معقدة تحتاج

إلى من يفسرها، ولا فروضاً عقلية جافة لا تستطيع أن يتصورها إلا قلّة من الناس[١] .

ولعل من أبرز ما يدل على هذا الوضوح والصفاء ما تتضمنه كلمة التوحيد التي هي شعار الإسلام وعنوانه: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله)، فقد نفت تأليه غير الله من بشر أو حجر، أو شيء في الأرض أو في السماء... وإفراد الله بالألوهية، والإقرار لمحمد ﷺ بالرسالة، وما يعني ذلك من محبته التي تفضي إلى متابعته، والاقتداء بهديه، والتمسك بسنته، وجماع ذلك: «تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، والانتهاء عما نهى عنه وزجر، وأن يعظم أمره ونهيه»[٢] ؛ ولهذا كانت رسالة محمد ﷺ إلى ملوك الأرض وزعمائها: ﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾ [آل عِمْرَان الآية ٦٤].

إن قضية التثنية في الألوهية -إله الخير والنور وإله الشر والظلمة- وقضية التثليث في الوثنيات القديمة، أو في المسيحية المتأثرة بها (الأب والابن والروح القدس)، لا تتمتع واحدة منها بالوضوح لدى المؤمنين بها، ولهذا تعتمد على الإيمان بغير برهان...بخلاف قضية التوحيد فهي تستند إلى العقل، وتعتمد على البرهان فيما يدركه العقل، أما ما كان فوق مدرج العقل الإنساني فإن معرفته عن طريق الوحي، قال تعالى: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النَّمل الآية ٦٤]، ويقيم الأدلة على الوحدانية بمثل قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبيَاء الآية ٢٢]، ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المُؤمِنُون الآية ٩١]، فالتوحيد في حدّ ذاته قضية واضحة في ضمير كل مسلم، ودليلها أيضاً واضح في فكره، كما أن أثرها كذلك واضح في حياته[٣] .

هذا الوضوح المشرق في العقيدة بالنظر إلى الأنبياء عامة، وإلى محمد ﷺ خاصة، يقابله غموض مطبق في العقائد الأخرى، وأبرزها المسيحية التي لم يتضح لأتباعها حقيقة المسيح: ما هي؟ حتى إنهم عقدوا المجامع تلو المجامع للبحث في طبيعة المسيح ما هي؟ أهو إله؟ أم ابن اله؟ أم بشر خالص؟ أم بشر حل فيه الإله؟ أم جزء من أقانيم ثلاثة يتكون منها الإله: هي الأب، والابن، والروح القدس؟ والروح القدس نفسه اختلفوا فيه ما هو، وما علاقته بالأقنومين الآخرين؟ وأم المسيح التي ولدته ما هي أيضاً؟ وما نصيبها من اللاهوت والناسوت أو الإلهية والبشرية؟[٤] .

(١) دراسات في العقيدة الإسلامية ، الخطيب الهزايمة ص١٧ ، دراسات في الثقافة الإسلامية صالح هندي ص٥٤ .
(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، لحسن آل الشيخ ص٣٥ .
(٣) الخصائص العامة للإسلام ، ص١٨٧-١٨٨ .
(٤) الخصائص العامة للإسلام ، ص١٩٠ .

حدث هذا الغموض في المسيحية عندما تأثرت بالأمم الأخرى المجاورة لها وفقدت تميزها المتمثل في العقيدة الحقة التي جاء بها عيسى عليه السلام من عند الله[1] .

ومن وضوح عقيدة التوحيد كذلك أنه لا مكان فيها لشيء من الاضطراب والفوضى مطلقا، كيف لا وهي وحي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣﴾ [المُلك الآية ٣].

وأسلوب التحدي من شأنه أن يثير الاهتمام والجد في النظر إلى السماوات وإلى خلق الله كله .

وهذه النظرة الحادة الفاحصة المتأملة المتدبرة هي التي يريد القرآن أن يثيرها وأن يبعثها .

فبلادة الألفة تذهب بروعة النظرة إلى هذا الكون الرائع العجيب الجميل الدقيق، الذي لا تشبع العين من تملي جماله وروعته، ولا يشبع القلب من تلقي إيحاءاته وإيماءاته ولا يشبع العقل من تدبر نظامه ودقته . والذي يعيش منه من يتأمله بهذه العين في مهرجان إلهي باهر رائع، لا تخلق بدائعه، لأنها أبدا متجددة للعين والقلب والعقل .

والذي يعرف شيئًا عن طبيعة هذا الكون ونظامه -كما كشف العلم الحديث عن جوانب منها- يدركه الدهش والذهول . ولكن روعة الكون لا تحتاج إلى هذا العلم . فمن نعمة الله على البشر أن أودعهم القدرة على التجاوب مع هذا الكون بمجرد النظر والتأمل فالقلب يتلقى إيقاعات هذا الكون الهائل الجميل تلقيا مباشرا حين يتفتح ويستشرف . ثم يتجاوب مع هذه الإيقاعات تجاوب الحي مع الحي قبل أن يعلم بفكره وبأرصاده شيئا عن هذا الخلق الهائل العجيب .

ومن ثم يكل القرآن الناس إلى النظر في هذا الكون، وإلى تملي مشاهده وعجائبه . ذلك أن القرآن يخاطب الناس جميعا، وفي كل عصر . يخاطب ساكن الغابة وساكن الصحراء، كما يخاطب ساكن المدينة ورائد البحار . وهو يخاطب الأمي الذي لم يقرأ ولم يخط حرفا، كما يخاطب العالم الفلكي والعالم الطبيعي والعالم النظري سواء . وكل واحد من هؤلاء يجد في القرآن ما يصله بهذا الكون، وما يثير في قلبه التأمل والاستجابة والمتاع .

فالحق لا يضطرب، ولا يتناقض، ولا يلتبس، بل تجده واضحا وضوح الشمس في رابعة النهار، ويشبه بعضه بعضا، ويصدق بعضه بعضا، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ۝٨٢﴾ [النِّسَاء الآية ٨٢].

---

(١) ولمزيد من الاطلاع على الغموض الذي دخل في العقائد الأخرى غير العقيدة الإسلامية ، وأفقدت تلك العقائد تميزها . ينظر: الدين (بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان) ، لمحمد دارز ص٦٧ .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، على ما أنعم به من تمام هذا البحث، والذي أفادني كثيراً في نفسي خاصة، فالتوحيد مدرسة لا تنضب ولا تنقضي آثاره وفوائده.

وبعد هذه الجولة الماتعة في رياض التوحيد، أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها بتوفيق الله تعالى، ومن ثم التوصيات:

١- أن التوحيد هو أصل الأصول، ولأجله خلق الله الجن والإنس، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، وهو أساس هذا الدين، والميثاق الذي أخذه الله على الناس أجمعين، وبدون التوحيد لا يقبل الله العمل .

٢- ضرورة الاهتمام بضبط المصطلحات الشرعية ؛ لأن التلاعب بها يؤدي إلى خلط الحق بالباطل وتحريف النصوص الشرعية .

٣- أن هناك علاقة طرديه بين قوة المسلمين وإتقانهم وإبداعهم وبين قوة توحيدهم وتاريخ الأمة الإسلامية، وقيام دولها وسقوطها خير شاهد على ذلك، وإذا أردنا استعادة أمجاد أسلافنا الموحدين الذين فتحوا مشارق الأرض ومغاربها، فعلينا بالاقتداء بهم في توحيدهم الخالص لله تعالى، وإتقانهم وإبداعهم لأعمالهم .

٤- أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كان التوحيد هو محور دعوتهم وقضيتهم الأولى التي دعوا إليها أقوامهم .

٥- أن عقيدة التوحيد، بما تورثه في قلب الإنسان من استحضار لعظمة الله وقدرته، أكبر رادع للإنسان عن العدوان، وأعظم صارف له عن التعدي والطغيان .

٦- التوحيد يحرر الإنسان من عبودية العباد والخضوع لغير الله ويسمو به للخضوع للواحد الأحد، ويمنحه الاستقلال والحرية، فالموحد لله لا تتوزع طاقاته، ولا تتبدد جهوده ومشاعره بين آلهة شتى .

وأما المشرك فعنده استعداد داخلي للخضوع للقوى الوهمية، فهو دائمًا في تمزّق داخلي وعدم استقرار وطمأنينة ؛ لدينونته لآلهة متعددة، ولهذا تجد الموحد يشعر بالراحة النفسية والسعادة القلبية والاستقرار الاجتماعي والإبداع .

٧- إن الأسرة التي تربي أبناءها على عقيدة التوحيد، إنما تحصّنهم لمجابهة الحياة، والاستعداد لإدراك المخاطر ؛ لأن الإيمان بالله وبكتبه وبملائكته وبرسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وترسيخ هذا الإيمان

يعطي الأبناء سلاحاً قوياً يدفعهم للعمل، وينمي عندهم بغض الشرك، وإدراك خطره، ويحبب إليهم الخير.

٨ - إن عقيدة التوحيد توحد الغاية بين المؤمنين، وتلقي في العقل الجمعي للمتحققين به أخلاقاً عامة في الفكر والسلوك تستمد من معنى وحدانية الله سبحانه، ولا تلبث أن تصير سيرةً للجماعة المؤمنة تجري عليها حياتها كلها، كما أنها تمنح المجتمع حصانة ذاتية وهوية ثقافية متميزة، تصير معه أنماط الحياة في المجتمع أنماطاً محكومة بشرع الله تعالى.

٩ - عقيدة التوحيد تميزت بخصائص جليلة ميزتها عن سائر عقائد الملل والنحل، ولا توجد هذه الخصائص في غير عقيدة التوحيد، ومن أهم هذه الخصائص: الربانية، الفطرية، الغيبية، الشمولية، الوسطية، العملية، العقلانية، السماحة والوضوح.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم...

فهرس المصادر والمراجع

١. إيقاظ الهمم، لصالح العمري، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ .
٢. أضواء على الثقافة الإسلامية، لنادية العمري، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: التاسعة ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .
٣. إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، تحقيق: طه عبدالرؤوف، بيروت، دار الجيل، ط ١٩٧٣م .
٤. بناء المجتمع الإسلامي ونظمه، لنبيل السمالوطي، الناشر: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة: الثالثة ١٤١٨هـ-١٩٩٨م .
٥. تأملات في سلوك الإنسان، تأليف ألكسيس كاريل، ترجمة د . محمد القصاص .
٦. الترغيب والترهيب، للمنذري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ .
١. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
٧. تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، يطلب من دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان .
٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، تحقيق: الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .
٩. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، المحقق: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م .
١٠. جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، دراسة وتحقيق: أبو عبدالرحمن فواز أحمد زمرلي، الناشر: مؤسسة الريان - دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
١١. الحجة في بيان المحجة، للأصبهاني، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي
١٢. الحضارة الإسلامية: أسسها ومبادئها، للمودودي، دار العربية، بيروت .
١٣. خصائص التصور الإسلامي، لسيد قطب، دار الشروق، بيروت .
١٤. الخصائص العامة للإسلام، ليوسف القرضاوي.
١٥. الخلاصة في خصائص العقيدة الإسلامية، لعلي الشحود، من موقع المكتبة الشاملة .

١٦. الدر المنثور، للسيوطي، تحقيق: مركز هجر للبحوث، الناشر: دار هجر - مصر، سنة النشر: [١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م] .

١٧. درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، للناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .

١٨. دراسات في الثقافة الإسلامية، صالح ذياب الهندي، ط٢ .

١٩. دراسات في العقيدة الإسلامية، محمد أحمد الخطيب ومحمد عوض الهزايمة، دار عمار، الأردن، ط٥، ١٩٩٧م .

٢٠. الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، د . محمد عبدالله دراز، الناشر: دار القلم، الكويت .

٢١. روح المعاني، للآلوسي، المحقق: علي عبدالباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ .

٢٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للألباني، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض.

٢٣. سلسلة الأحاديث الضعيفة، للألباني، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض .

٢٤. سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن أشعث السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، الناشر: دار الفكر .

٢٥. سنن الترمذي، لأبي عيسى الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبدالباقي (ج ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

٢٦. شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للالكائي، تحقيق: د . أحمد سعد حمدان، الناشر: دار طيبة - الرياض، ١٤٠٢ .

٢٧. شرح الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: وكالة الطباعة والترجمة، في الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .

٢٨. شرح الفقه الأكبر، لعلي لقاري، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ .

٢٩. شرح النووي على صحيح مسلم، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ .

٣٠. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

٣١. صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري، الناشر: دار الشعب - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م .

٣٢. صحيح الجامع الصغير، للألباني، الناشر: المكتب الإسلامي .
٣٣. صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج، لناشر: دار الجيل بيروت - دار الأفاق الجديدة بيروت .
٣٤. ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، للدكتور سفر الحوالي، دكتوراه بإشراف الأستاذ: محمد قطب، ١٤٠٥ هـ - ١٤٠٦ هـ، الناشر: دار الكلمة .
٣٥. العظمة، لابن حيان الأصبهاني، المحقق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الناشر: دار العاصمة - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ .
٣٦. عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد، لأحمد بن عبدالرحيم الدهلوي، المحقق: محب الدين الخطيب، الناشر: المطبعة السلفية - القاهرة .
٣٧. العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم المنهج والأركان والخصائص، عثمان جمعة ضميرية، سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٣٢هـ .
٣٨. علم العقيدة عند أهل السنة والجماعة، د . محمد يسري، دار طيبة، الرياض، ١٤٢٩هـ .
٣٩. العلمانية: نشأتها وتطورها، د . سفر الحوالي، الناشر: دار الهجرة.
٤٠. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، لحسن آل الشيخ، الطبعة: الخامسة، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، تاريخ النشر: ١٤٢١هـ .
٤١. الفطرية بعثة التجديد المقبلة، فريد الأنصاري، الناشر: دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣هـ .
٤٢. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، للدكتور: محمد البهي، الناشر: مكتبة وهبه، الطبعة: العاشرة .
٤٣. كتاب الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت .
٤٤. لسان العرب، لابن منظور، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ .
٤٥. مجموع الفتاوى، لابن تيمية، المحقق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .
٤٦. المحرر الوجيز، لابن عطية، المحقق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ .
٤٧. مسند الإمام أحمد، لأحمد بن حنبل، المحقق: السيد أبو المعاطي النوري، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م .
٤٨. مصنف ابن أبي شيبة، لابن أبي شيبة، ضبطه وعلق عليه الأستاذ سعيد اللحام، الإشراف الفني

والمراجعة والتصحيح: مكتب الدراسات، والبحوث في دار الفكر دار الفكر .
٤٩. معالم التنزيل، للبغوي، تحقيق: محمد النمر، وعثمان ضميرية، دار طيبة .
٥٠. مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، دار القلم دمشق.
٥١. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للإمام القرطبي، حققه: يوسف علي بديوي، محي الدين مستو، الناشر: دار ابن كثير، دمشق .
٥٢. منحة الخالق على البحر الرائق لابن عابدين، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية - بدون تاريخ .
٥٣. منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط١٤٠٦هـ.
٥٤. نشأة الدين، د . علي سامي النشار
٥٥. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

References:

1. Iqath Al Himam, Salih Al Umari, Dar Al Ma'rifa, Beirut, 1398 A.H.

2. Adwaa' 'Ala Al Thaqafa Al Islamiya, Nadia Al Umari, Mou'asasa Al Resalah, Ninth edition, 1422 A.H.-2021 A.D.

3. A'laam Al Muwaqi'en 'Un Rub Al'Aalameen, Ibn Al Qaim, Edit: Taha Abdul Ra'uf, Beirut, Dar Aljeel, 1973

4. Bina' Al Mujtama' Al Islami wa Nudhumih, Nabeel Al Samalooti, Dar Al Shurooq, 1973

5. T'amulat Fi Sulook Al Insan, Alexis Carrel, Translated by Dr. Mahmoud Al Qassas

6. Al Targheeb wa-l Tarheeb, Al Munthiri, edited by Ibrahim Shams Ad din, Dar Al Kutub Al 'Ilmia, Beirut, First edition, 1417 A.H.

7. Tafseer AL Qur'an Al 'Adheem, Ibn Katheer, edited by Sami Bin Muhammed Salamah, Dar Taiba for publication and distribution, Second edition 1420 A.H.-1999 A.D.

8. Tahdheeb Al Asmaa' Wa-l Lughat, Nawawi, Dar Al Kutub Al 'Ilmia, Beirut.

9. Jami' Al Bayan 'Un Ta'weel Ay Al Qur'an, Tibari, Edited by Dr Abdullah Bin AbdulMuhsin Al turki, Dar Hajr for Publication and distribution, First edition 1422 A.H.-2001 A.D.

10. Al Jami' Li Ahkam-il Qura'n, Qurtubi, Edited by Hisham Sameer Al Bukhari, Dar 'Ilm Al Kutub, Al Riyadh, KSA, 1423 A.H.-2003 A.D.

11. Jama' Bayan-il Ilm Wa Fadhlih, Ibn Abd-il Bar, Edited by Abu Abdul Rahman Fawaz Ahmed Zimrli, Mu'asasa Al Rayan-Dar Ibn Hazim, First edition 1424 A.H. -2003 A.D.

12. Al Huja Fi Bayan Al Mahja, Asbahani, Edited by Muhammed Bin Rabea Bin Hadi Ameer Al Mudakhily

13. Al Hadhara Al Islamia, 'Ususuha wa Mabidi'uha, Mawdoodi, Dar Al Arabia, Beirut

14. Khasa'is Al Tasawur Al Islami, Said Qutub, Dar Al Shurooq, Beirut

15. Al Khasa'is Al 'Ama'Lil Islam, Yousif Al Qardhawi

16. Al Khulasa Fi Khasa'is Al 'Aqeeda Al Islamia, Ali Al Shahood, Al Maktaba Al Shamila

17. Aldur Al Mathur, Siyouti, Edited by Markaz Hakr LilBuhooth, Dar Hajr, Egypt 1424 A.H.-2003 A.D.

18. Dari' Ta'arudh Al Aqil Wal-Naqil, Ibn Taimia, Jamiaat Al Imam Muhammed Bin Su'ood Al Islamia, KSA, Second edition 1411 A.H. - 1991 A.D.

19. Dirast Fi Al Thaqafa Al Islamia, Salih Dhiab Al Hindi, Second Edition

20. Dirasat Fi-l Aqida Al Islamia, Muhammed Ahmed Al Khateeb& Muhammed Awadh Al Hi-zaima, Dar Ammar, Jordan, Fifth Edition, 1997

21. Al Deen, Buhooth Mumahida Lidirasa-t Tareekh Al Adiyan, Dr. Muhammed Abdullah Diraz, Dar Al Qalim, Kuwait

22. Rooh Al Maa'ni, Al Alusi, Edited by Ali Abdul Bari Attiyah, Dar Al Kuttub Al Ilmia, Beirut, First edition 1415 A.H.

23. Silsilat Al Ahadeeth Al Saheeha Wa Shai' Min Fiqhiha Wa Fawa'iduha, Al Albani, Makat-ba-t Al Maa'rif, Al Riyadh

24. Silsilat Al Ahadeeth Al Dha'eefa, Al Albani, Makatba-t Al Maa'rif, Al Riyadh

25. Sinan Abi Dawood, Abi Dawood Sulaiman Bin Ash'ath Al Sijistani, Edited by Muhammed Muhi Al Deen Abdul Hameed, Dar Al Fikir

26. Sunan Al Tirmidhi, Abi Eissa Al Tirmidhi, Edited by Ahmed Muhammed Shakir (Pt1&Pt 2), Muhammed Fu'ad Abdul Baqi (Pt3), Ibrahim Atwah (Pt 4&Pt5), Maktaba Mustafa Albabi Al Halabi, Egypt, Second Edition, 1395 A.H.-2975 A.D.

27. Sharih Usool I'tiqad Ahl Al Sunna, Alkaa'I, Edited by Dr. Ahmed Saad Hamdan, Dar Taiba, AL Riyadh 1402 A.H.

28. Sharih Al Tahawia, Ibn Abi Al 'iz Al Hanafi, Edited by Ahmed Muhammed Shakir, Wakala Al Tibaa'a Wa-l Tarjama

29. Sharih Al Fiqih Al Akbar, Ali Liqari, Dar Al Basha'ir Al Islamia, First edition, 1419 A.H.

30. Sharih Al Nawai Ala Saheeh Muslim, Dar Ihiaa' Al Turath Al Arabi, Beirut, Second edition 1392 A.H.

31. Shifaa Al 'Aleel Fi Masa'il Al Qadhaa' Wa Al Qadar Wa Al Hikmah Wa Al Ta'leel, Ibn Al Qaim, Dar Al Ma'rifa, Beirut, Lebanon, 1398 A.H.- 1978 A.D.

32. Sahih Al Bukhari, Muhammed Bin Isma'il Al Bukhari, Dar Al Sha'ab, Cairo, First edition,

1407 A.H.-1987 A.D.

33. Sahih Al Jami' Al Sagheer, Al Albani, Al Maktab Al Islami

34. Sahih Muslim, Abi Al Hussien Muslim Bin Al Hajjaj, Dar Al Jeel, Beirut-Dar Al Afaq Al Jadeeda-Beirut

35. Dhahira Al Irjaa' Fi Al Fikir Al Islami, Dr. Sifir Al Hawali (PhD) Supervised by Dr. Muhammed Qutub, 1405-1406 A.H., Dar Al Kalima

36. Al Adhama, Ibn Hayan Al Ashabani, Edited by Ridaa' Allah Bin Muhammed Edris Al Mubarakfouri, Dar Al Asima- Al Riyadh, First edition 1408 A.H.

37. Aqd Al Jeed Fi Ahkam Al Ijtihad Wa-l Taqleed, Ahmed Bin Abdul Raheem Al Dahlawi, edited by Muhib Ad din Al Khateeb, Al Matba'a Al Salafiya, Cairo

38. Al Aqida Al Islamia Fi-l Qur'an Al Kareem Al Manhaj Wa-l Arkan Wa-l Khasa'is, Othma Jum'aa Dhamiriya, Silsala Da'wa Al Haq, Rabita Al 'Alam Al Islami, Holy Mecca, 1432 A.H.

39. 'Ilm Al Aqeeda 'Ind Ahl Al Sunna Wa-l Jama'a, Dr. Muhammed Yusri, Dar Taiba, Al Rayadh, 1429 A.H.

40. Al 'Ilmannia: Nash'atuha Wa Tatwuruha, Dr. Sifir Al Hawali, Dar Al Hijra

41. Fath Al Majeed Sharh Kitab Al Tawheed, Hasan 'Al AlSheakh, Fifth edition, Wizara-t Al Shu'oun Al Islamia Wa-l Awqaf Wa-l Da'wa Wa-l Irshad, KSA, 1421 A.H.

42. Al Fitriya Bi'tha-t Al Tajdeed Al Muqbila, Fareed Al Ansary, Dar Al Salam, Cairo, first edition 143 A.H.

43. Al Fikr Al Islami Al Hadeeth Wa Silatuh Bil-Isti'maar Al Gharbi, Dr. Muhammed Al Bahi, Maktaba-t Wahba, tenth edition

44. Kitab Al Jawab Al Kafi Liman Sa'al 'An Al Dawa' Al Shafi, Ibn Al Qaim, Dar Al Kutub Al Ilmia, Beirut

45. Lisan Al Arab, Ibn Mandhoor, Dar Sadir, Beirut, third edition, 1414 A.H.

46. Majmou' Al Fatawa, Ibn Taimia, edited by Abdul Rahman Bin Muhammed Bin Qasim, Mujama' Al Malik Fahad Li-Tibaa' Al Mushaf Al Shareef, Prophetic Madina, KSA, 1416 A.H.-1995 A.D.

47. Al Muharir Al Wajeez, Ibn Atiyah, edited by Abdul Salam Abdul Shafi Muhammed, Dar Al Kutub Al ʻIlmia, Beirut, First edition 1422 A.H.

48. Masnad Al Imam Ahmed, Ahmed Bin Hanbal, edited by Al Sayid Abu Al Maʾati Al Nouri, Aʾlam Al Kutub, Beirut, first edition 1419 A.H. -1998 A.D.

49. Musannaf Ibn Abi Shaiba, Ibn Abi Shaiba, Edited by Saʾeed Al Lahham, Revised by Maktab Al Dirasat Wa-l Buhooth Fi Dar Al Fikir, Dar Al Fikir

50. Maʾalim Al Tanzeel, Bugawi, edited by Muhammed Al Nimir and Othman Dhumairiya, Dar Taiba

51. Mufradat Alfadh Al Qurʾan, Al Raghib Al Asfahani, Dar Al Qalam Damascus

52. Al Mufhim Lima Ashkal Min Takhlees Kitab Muslim, Imam Qurtubi, edited by Yousif Ali Bidewi and Muhi Ad Din Mistu, Dar Ibn Katheer, Damascus

53. Munha-t Al Khaliq ʻAla Al Bahr Al Raʾiq, Ibn Abideen, Dar Al Kitab Al Islami, second edition

54. Minhaj Al Sunna Al Nabawiya, Ibn Taimia, edited by Muhammed Rashad Salim, Mussa-t Qurtuba, 1406 A.H.

55. Nashʾa-t Al Deen, Dr. Ali Sami Al Nashar

Al Nihaya Fi Ghareb Al Hadeeth Wa-l Athar, edited by Tahir Ahmed Al Zawi and Mahmoud Muhammed Al Tanahi, Al Maktaba Al ʻIlmia, Beirut 1399 A.H.-1979 A.D.